

الكندى و آراؤه الفلسفية

(٩)

للدكتور عبدالرحمن شاه ولى

الفصل الثانى

وجود الله

كان من حق البحث المنظم أن يكون حديثنا عن وجود الله قبل معالجتنا لمشكلة حدوث العالم، ولكن لما كان الكندى قد اتخذ حدوث العالم دليلا على وجود الله، فقد اقتضى المنهج العلمى أن نقدم معضلة حدوث العالم على البحث فى وجود الله، مع ان هذا الوجود له الصدارة على كل شىء -

ان مسألة الألوهية من أهم المطالب واسنى المقاصد للبشرية قاطبة، ولاجل ذلك نرى ان كل فيلسوف و مفكر من اى جنس من الاجناس البشرية، ومن اى قطر من اقطار الارض، وفى اى حين من الدهر، حاول الوصول الى درك هذه الحقيقة العلية والمقصد السنى، ولا يخلوا انسان ذو عقل و شعور من تصور فكرة الألوهية، وان تفرقت بهم سبل الوصول الى هذه الغاية العظمى التى هى غاية الغايات بلاربية، وقد اهتمت الاديان السماوية بها اهتماما كبيرا، لانها اس الاديان و اساس التنسك والتعبد، و منبع الرسائل والشرائع، ولكن شان الاسلام فى ذلك اعظم و اكبر من جميع الاديان السماوية السابقة، حيث اهتم بهذه المسألة الاساسية اهتماما فاق اهتمام جميع الاديان، فقد كرر القرآن الكريم الادلة والبراهين على

وجود الله بطريقة لا يوجد لها نظير في الكتب السماوية السابقة - و خاطب القرآن العقل الانساني ليقتنعه بالادلة القاطعة التي لا يبقى بعد فهمها ادنى ريبة لمن كان له قلب سليم، غير ان الذى تكون سجيته المعاندة والمكابرة، ويكون ممن قال الله فيهم ” ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فضلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون“، سورة ١٥ آية ١٤ - ١٥، لا يقتنع بالادلة والحجج لفساد ضميره واعوجاج نفسه و غلبة قوته الشهوانية الدنيئة على قوته المنطقية والعقلية، فلا تنفعه الحجج والبراهين، وان كان يكرر قراءتها في القرآن الكريم، فمثله ” كمثل الحمار يحمل اسفارا“، سورة ٦٢ آية ٥، فهو ممن ” ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة“، سورة ٢ آية ٧، وصار ممن اشار الله اليهم بقوله : اولئك كالانعام بل هم اضل“، سورة ٧ آية ١٧٩ - فالمسألة هنا مسألة صفاء الضمير من اصداء العناد والمكابرة والشهوات الدنيوية الدنيئة التي لا تلائم مقتضياتها، والايان بالحقيقة الحقة الالهية البينة التي تعتبر من اجلى البدهيات عند الحكماء، ولا تحتاج الى الحجج والبراهين، وكفى لتوجيه الغافلين التنبهات على ذلك لتوقظهم من الغفلة، قال الفارابى عن البارى سبحانه و تعالى : ” ويلزم من هذا ان لا جنس له ولا فصل، ولا حد ولا برهان عليه، بل هو برهان على جميع الاشياء، وجوده بذاته ابدى ازلى لا يمازجه العدم“، - (١)

هكذا يوضح لنا هذا الحكيم المسلم ان البارى جل شانه لا يعرف بالحد لبساطة حقيقته وعدم تركيب ذاته باى نوع من التركيب ذهنا وخارجا، ولتوحده بوحدة حقيقية مطلقة - ولا يعرف بالبرهان ايضا، لان البراهين تقام على النظريات،

(١) عيون المسائل للفارابى ص ٥

وهو من اجلى البدهيات، ولا يضر جلاء الشمس اذا اختفت بضياؤها المشرقة النيرة، واحتجبت بانوارها الباهرة عن عيون الخفاش - يقول الكندي: "ان فى الظاهرات للحواس - اظهر الله لك الخفيات - لاوضح الدلالة على تديير مدبر اول، اعنى مدبرا لكل مدبر، وفاعلا لكل فاعل، ومكونا لكل مكون، واولا لكل اول، وعللة لكل عللة، لمن كانت حواسه الآلية موصولة باضواء عقله، وكانت مطالبه وجدان الحق . . . وغرضه الاسناد للحق واستنباطه والحكم عليه، والمزكى عنده فى كل امر شجر بينه و بين نفسه - العقل، فان من كان كذلك انتهكت عن ابصار نفسه مسجوف سدف الجهل، وعافت نفسه مشارب عكر العجب، وانفت من ركافة معالجة الفخر، واستوحشت من تولج ظلم الشبهات، وخرجت من الوقف (١) على غير تبين، واستحيت من الحرص على اقتناء ما لا تجدد، وتضييع ما تجدد، فلم تضاد ذاتها ولم تتعصب لاضدادها - فكن كذلك كان الله لك ظهيرا، ايها الصورة المحمودة والجوهر النفيس، يتضح لك ان الله جل ثناؤه، وهو الانية الحق، التى لم تكن لىسا، ولا تكون لىسا ابداء، لم يزل ولا يزال . . الخ، (٢)

هكذا يؤكد الكندي ان الله جل ثناؤه من اجلى البدهيات، ولكن عند من كان على هذه الاوصاف المحمودة، لا عند من غلبت عليه شهواته فعميت بصيرته وصار من قال الله عنهم،، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم اعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، اولئك كالانعام بل هم اضل،، سورة ٧ آية ١٧٩، فان جلاء هذه الحقيقة الحقة عند اولى الالباب واصحاب القلوب السليمة، وهذا الذى اشار اليه الكندي وصرح به الفارابى، تشير اليه هذه الاية الكريمة،، او لم يكف

(١) الوقف : الارتياح -

(٢) رسائل الكندي ج ١ ص ٢١٤-٢١٥ -

بربك انه على كل شىء شهيد، . . . وهذا ما كان يردده بعد فلاسفة الاسلام بقرون الفيلسوف الفرنسى ديكارت، اذ كان يقول: "ان فكرة اللامتناهي سابقة لدى على فكرة المتناهي، اى ان ادراك الله سابق على ادراك نفسى، اذ انى لى ان اعرف انى اشك وارغب، اى ان شيئا ينقصنى، واننى لست كاملا تمام الكمال، اذا لم يكن لدى اى فكرة عن وجود اكمل من وجودى، عرفت بالقياس اليه ما فى طبيعتى من عيوب؟"، (١)

ورغم ان ديكارت يعترف بجلاء معرفة الله وبداهة وجوده اكثر من علمه بنفسه وهو حضورى، يظهر عجزه عن الاحاطة باللامتناهى حيث يقول: "ان فكرة الله تنطوى على كثرة لا تحصى من الافكار لا يستطيع ان احيط بها، بل قد لا يتيسر لى بلوغها بالفكر ابداء، فان من شان اللامتناهى ان يعجز المتناهى عن الاحاطة به -،" (٢) وسما يدل على بداهة وجود البارى، و عدم وجود البراهين والادلة الحقيقية على ذاته و وجوده، هو أن الاصل فى الاستدلال أن يكون من العلة على المعلول، وما لاتعرف علته واسبابه لا يمكن معرفة حقيقته ان كان نظريا، ولذلك يقول الكندى: "ولعمري ان ما جهلت اوائله واسبابه و علته ليؤيس من درك حقائق علمه -،" (٣) فبما أن الله هو لماذية الاشياء، و علة العلل بأسرها، وليست له علة نستدل بها على وجوده، وكذلك أنه بسيط لا جنس ولا فصل له، فقد ثبت أنه لا حد له ولا برهان على وجوده برهانا حقيقيا، ودليلا لميا - أما ما ذكره الفلاسفة من الأدلة على وجوده، أو ما جاء فى الكتب السماوية يرجع كله الى الاستدلال من الاثر على المؤثر،

(١) التاملات لديكارت، ترجمة الدكتور عثمان امين ص ١١١

(٢) التاملات لديكارت ترجمة الدكتور عثمان امين ص ١١١

(٣) رسائل الكندى ج ٢ ص ٩١

وبذلك فجميع الأدلة في هذا الصدد انية وليست لماذية، أى أنها ليست ادلة حقيقية، بل هى تنبيهات على هذه الحقيقة الضرورية، وكل ذرة من العالم تدل على وجوده و وحدانيته :

”وفى كل شىء له آية تدل على انه واحد،“

قال تعالى : ”ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين-“، سورة . ٣ آية ٢٢، الم نجعل الارض سهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نوبكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا،، سورة ٧٨ آية ٦ - ١١ ”وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع و نخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون“، سورة ١٣ آية ٣ - ٤، ”فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذروكم فيه ليس كمثل شىء وهو السميع البصير“، سورة ٤٢ آية ١٠ - ١١، ”ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون“، سورة ٣٠ آية ١٩ - ٢٠، ”قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى و من يدبر الامر فسيقولون الله“، سورة ١٠ آية ٣٠ - ٣١، ”والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا و جعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون“، سورة ١٦ آية ٧٧ - ٧٨، ”قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم“، سورة ٦ آية ١٤ - وليست هذه جميع الايات التى وردت فى القرآن الكريم باقامة البرهان على وجود الله، ولكنها اشلة لجميع انواعها، ونرى منها أنها قد احاطت بأهم البراهين التى استدلت بها الحكماء على وجوده : وهى براهين الخلق والابداع وبراهين القصد والنظام،

و براهين الكمال والاستعلاء والمثل الا على - وسما يستوقف النظر ان البراهين التي جاء بها القرآن الكريم و وضعها بالتوكيد والتقريب هي اقوى البراهين اقناعا واحراها ان تبطل التول بقيام الكون على المادة العمياء دون غيرها، و نعى بها اولاً : براهين ظهور الحياة في المادة ”يخرج الحي من الميت“ ، ”وجعل لكم السمع والابصار والافئدة“، - وثانيا برهان التناسل بين الاحياء لدوام بقاء الحياة : ”وجعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا“ ، ”و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج“، -(١)

ويرى التفازاني ان ما اشير اليه في اكثر من ثمانين موضعا في القرآن الكريم انما هي أدلة اقناعية لها فوائد جمة ، يقول : ” قد سبقت الدلالة على وجود الصانع بالبراهين ، وهمنا نشير الى وجوه اقناعية، والى كونه من المشهورات التي لم يخالف فيها احد ممن يعتد به بذلا للمجهود في اثبات ما هو معظم المطالب العالية - بيان ذلك: انه لا شك احد في وجود عالم الاجسام من الافلاك والكواكب والعناصر والمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية، وفي اختلاف صفات لها واحوال، وقد صح الاستدلال بذواتها وصفاتها لامكانها وحدوثها على وجود صانع قديم قادر حكيم، فياتي اربعة طرق، هي الشائعة فيما بين الجمهور، واشير اليها في اكثر من ثمانين موضعا من كتاب الله تعالى كتوله تعالى ”سريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم“ ، وكتوله ”ومن آياته الليل والنهار والشمس . . الخ“ ، ”وسخر لكم الليل والنهار والشمس . . الخ“، -(٢)

الى هنا قد اثبتنا ان وجود الله جل شأنه من اجلى البدهيات، وما استدل

(١) الله، للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٢٠٠

(٢) شرح المقاصد لسعد الدين عمر التفازاني ج ١ ص ٥٩

الفلاسفة به على وجوده او ما جاء في القرآن الكريم، كل ذلك من آيات وجوده و آثار قدرته، وانها ان كانت براهين فهي براهين اقتناعية، وبالتالي انها براهين ائيه وليست براهين حقيقية، وهي في نظرنا براهين لماذية، وكذلك اشرنا الى ما سنشبهه بالدليل فيما بعد انه تعالى واحد بوحدة حقيقية، و حقيقته بسيطة، فلا جنس لها ولا فصل، ولذلك لا حد لذاته سبحانه و تعالى، بل يعرف بالرسم والاثار، يقول الكندي: "العلة الاولى - مبدعة فاعلة متممة الكل غير متحركة -"، (١)

اما من يدعى نظرية وجوده، فلمهم في اثبات وجوده بالنظر طريقان : احدهما هو الاستدلال باسكان ما سواه على وجوب وجوده، وهذا هو طريق الحكماء والفلاسفة، والثاني هو الاستدلال بحدوث ما سواه على وجوب وجوده، وذلك طريق المتكلمين ثم ان المتكلمين القائلين بنظرية وجوده اختلفوا في وجوب معرفته، فقال المعتزلة بوجوب معرفته بالعقل والنظر، وقال الاشاعرة بوجوبها بالنصوص الشرعية يقول التفتازاني في معرفة الله انها : " ليست بضرورية بل نظرية، ولا معنى للنظرى الا ما يتوقف على النظر و يتحصل به - واما وجوب المعرفة فعندنا بالشرع لاصنوص الواردة فيه والاجماع المنعقد عليه واستناد جميع الواجبات اليه، وعند المعتزلة بالعقل -"، (٢)

ويقول في طريق استدلال الحكماء والمتكلمين : "طريق اثبات الواجب عند الحكماء انه لا شك في وجود موجود، فان كان واجب فهو المرام، وان كان ممكنا فلا بد له من علة بها يترجح وجوده و ينقل الكلام اليه، فاما ان يلزم الدور او التسلسل،

(١) رسائل الكندي ج ١ ص ١٦٥

(٢) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ج ١ ص ٤٥

وهو محال، او ينتهي الى الواجب وهو المطلوب - وعند المتكلمين : انه قد ثبت حدوث العالم، اذ لاشك في وجود حادث، و كل حادث فبالضرورة له محدث، فاما أن يدور أو يتسلسل وهو محال، واما ان ينتهي الى قديم لا يفتقر الى سبب اصلا وهو المراد بالواجب - وكلا الطريقتين مبني على امتناع وجود الممكن او الحادث بلا وجود، وعلى استحالة الدور والتسلسل -، (١)

وسا يلاحظ هنا هو ان دليل اثبات الواجب لدى الفريثين مبني على استحالة الدور والتسلسل، ولكن الحكماء الى جانب ذلك يقولون بوجود حوادث غير متناهية بالفعل، ولذلك يقولون بقدم العالم، وهذا ما يهدم اساس برهانهم ويثبت عجزهم عن اقامة البرهان على اثبات واجب الوجود - والى هذا اشار التفتازاني بقوله :
 ”والمتكلمون لما لم يقولوا بقدم شيء من الممكنات كان اثبات القديم اثباتا للواجب، ولايرد عليهم ما جوزة الحكماء من تعاقب الحوادث من غير بداية كالحركات والاضواع الفلكية -، (٢)

واذ حددنا طرق الاستدلال على واجب الوجود في طريقتين، فلنا ان ننظر لنرى ما هو طريق الكندي في هذا المجال، هل هو اختار منهج الفلاسفة او المتكلمين -

دليله الاقناعي

وقبل ان نذكر ادلة الكندي لنبين طريقه في ذلك، لابد لنا من ان نذكر بعض ما استدل به على وجود الباري بالادلة الاقناعية التي اشار اليها القرآن الكريم

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ٢٧

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٧

في كثير من آياته - يقول الكندي عن الباري سبحانه و تعالى : "هو كالنفس في
البدن لا يقوم شئ من تدييره الا بتدبير النفس، ولا يمكن ان يعلم الا بالبدن بما يرى
من آثار تدبير النفس فيه . . . - فهكذا العالم المرئي لا يمكن ان يكون تدييره
الا بعالم لا يرى، والعالم الذي لا يرى لا يمكن ان يكون معلوما الا بما يوجد في
هذا العالم من التدبير والاثار الدالة عليه،،(١)

وهكذا ينتقل الكندي من الاثر الى المؤثر، وان قررنا هذا الدليل : بان هذا
العالم اثر، فلا بد له من مؤثر، لانهما من المضاف، او بانه فعل فلا بد له من
فاعل لانهما ايضا من المضاف، أو بانه حادث فلا بد له من محدث، لانهما ايضا
من المضاف، لكان هذا نفس ما استدل به المتكلمون على وجود الباري - ولكن
الكندي لم يسلك هنا هذا المسلك، ولذلك نعه من الادلة الاقناعية التي هي
عظيمة النفع في هذا المجال -

ويستدل الكندي من مواقع الكواكب تناسب حركاتها ودقة نظامها على
وجود بارئها الحكيم العليم فيقول : "وما اتقن ما هيا الباري، جل ثناؤه، من كون
الشمس قريبا من سمت رؤسنا، وهي مقبلة اليها، علت في الجو وبعدت عن وجه
الارض حتى تنتمى، ثم تقرب منا الى ان تنتهي الى آخر الميل، ثم تدبر الى الاعتدال،
وهي هابطة مخالفة البعد في الدرجات التي سيلها في جهة واحدة ميل واحد،
ليكون في كل ميل زمانان مختلفان، فنكون الازمنة أربعة، موافقة بالكيفية للعناصر
الأربعة، ويكون بين كل زمانين في ميل واحد كيفية مشتركة للزمانين، لئلا

(١) رسائل الكندي ج ١ ص ٧٤

تتنافر الطبائع بتضاد جميع كفيياتها، وان كان هذا هكذا لم يكن حيوان ولا غيره من الكائنات،، (١)

وهكذا يستدل الكندي بنظام الكون الدقيق على وجود صانعه الحكيم - و يقول الكندي بعد ان يذكر عجائب الكون مما يدل على صانعه الحكيم : ”فما اعجب ما هيأت حكمته الجليلة اللطيفة في سبلها،، (٢)

والكندي في كثير من مواضع من رسائله، يستدل بدقة نظام الكون و عجائب المخلوقات على الصانع الخالق، وهذه هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على واجب الوجود كما مر مرارا - وهذا هو الدليل الذي يسميه البعض بدليل العناية، الذي تحدث عنه الفلاسفة قبله وبعده، وخلاصة هذا الدليل : ان هذا النظام المحكم في العالم المرئي يدل على وجود الخالق الذي احكم هذا النظام الدقيق، كما انه دليل على ان بارئه حكيم عليم - والى هذا يشير الكندي في عباراته السابقة، ولقد مر بنا قوله : ”ان في الظاهرات للحواس - اظهر الله لك الخفيات - لاوضح الدلالة على تدبير مدبر اول، اعنى مدبرا لكل مدبر، وفاعلا لكل فاعل، ومكونا لكل مكون . . . الخ،، -

وقد مر بنا من قول الكندي ان كل من تجرد عن اهواء النفس والشهوات الدنيئة، وجعل العقل حكما في كل ما شجر بينه وبين نفسه، ادرك بلا ارتياب ان الله هو الموجود الحق الابدى ”وانه هو الحي الواحد الذي لا يتكثر بته، وانه هو العلة الاولى التي لا علة لها، والفاعلة التي لا فاعل لها، والمتممة التي لا تتم لها، والمؤيس الكل عن ليس، والمصير بعضه لبعض اسبابا وعللا . . . فان في

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٠

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٨

نظم هذا العالم، وترتيبه، وفعل بعضه في بعض، وانقياد بعضه لبعض، و تسخير بعضه لبعض، واتقان هيئته على الأمر الاصلح في كون كل كائن، و فساد كل فاسد، وثبات كل ثابت، وزوال كل زائل، لا عظم دلالة على اتقن تدبير — و مع كل تدبير مدبر، و على احكم حكمة — و مع كل حكمة حكيم، لان هذه جميعا من المضاف -، (١)

اتضح لنا من هذا النص ان الكندي لا يستدل بنظام الكون على وجود البارى فحسب، بل يستدل به على صفاته ايضا، وهذا هو طريق بعض المتكلمين كما سنوضح ذلك فيما بعد. ثم ان هذا الذى ذكره الكندي هو دليل العناية الذى اشار اليه القرآن الكريم فى كثير من آياته، ولذلك يرى ابن رشد ان طريق القرآن الكريم فى الاستدلال على وجود البارى ينحصر فيما يسميه بدليل العناية، و دليل الاختراع. ويرى ابن رشد ان الطريقة التى دعانا القرآن من بابها الى الايمان بوجود البارى، تنحصر فى قسمين، احد هما طريقة الوقوف على العناية بالانسان، و خلق جميع الموجودات من اجلها، ولنسم هذه الطريقة دليل العناية. اما الطريقة الثانية فهى ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء الموجودات ” مثل اختراع الحياة فى الجماد، والادراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه دليل الاختراع. فاما الطريقة الاولى فتبنى على اصلين: احد هما ان جميع الموجودات التى ههنا موافقة لوجود الانسان. والاصل الثانى: ان هذه الموافقة هى ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مرید، اذ ليس يمكن ان تكون هذا الموافقة بالاتفاق. فاما كونها موافقة لوجود الانسان فيحصل اليقين بذلك، باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الانسان، و كذلك موافقة الازمنة الاربعة له والمكان الذى هو فيه ايضا وهو الارض، وكذلك تظهر ايضا موافقة كثير من الحيوان له والنبات والجماد و جزئيات كثيرة مثل الامطار

والانهار والبحار، وبالجملة الارض والماء والنار والهواء - وكذلك ايضا تظهر العناية فى اعضاء البدن واعضاء الحيوان، اعنى كونها موافقة لحياته و وجوده - وبالجملة فمعرفة ذلك - اعنى منافع الموجودات - داخله فى هذا الجنس، ولذلك وجب على من اراد ان يعرف الله تعالى المعرفة التامة ان يفحص عن منافع الموجودات -، (١)

و يرى ابن رشد ان دليل الاختراع يبنى ايضا على اصلين موجودين بالقوة فى جميع فطر الناس : احد هما ان جميع الموجودات مخترعة، كما يدل على ذلك وجود الحيوان والنبات، قال تعالى : ”ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له،، الآية، فانا نرى اجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعا ان ههنا سويدا للحياة، ومنعما بها، وهو الله تبارك وتعالى - ”وكذلك نعلم من حركات السموات، انها ماسورة بالعناية، ومسخرة لنا، والماصور المسخر يكون مخترعا من قبل غيره بداهة -

واما الاصل الثانى فهو ان لكل مخترع مخترع، وبذلك ثبت وجود الفاعل المخترع، ومن هنا نستطيع ان نستنبط ادلة كثيرة بقدر المخترعات على وجود البارى - ”ولذلك كان واجبا على من اراد معرفة الله حق معرفته ان يعرف جواهر الاشياء ليقتف على الاختراع الحقيقى فى جميع الموجودات، لان من لم يعرف حقيقة الشئ لم يعرف حقيقة الاختراع، والى هنا الاشارة بقوله تعالى : ”أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ“، ، وكذلك ايضا من تتبع معنى الحكمة فى وجود موجود، اعنى معرفة السبب الذى من اجله خلق والغاية المقصودة به،

(١) مناهج الادلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ٤٥

كان وقوفه على دليل العناية اتم، هذان الدليلان هما دليل الشرح -، (١)

وإذا تأملنا فيما قال الكندي في هذا الصدد، فانه لا يخرج عن دليل العناية والاختراع الذين استدل بهما القرآن الكريم على وجود الباري، وقد فسرهما ابن رشد بقوله السابق احسن تفسير، فمما يدل على دليل العناية قوله تعالى: "الم نجعل الارض سهادا و الجبال اوتادا. الخ"، سورة ٧ آية ٦ - ٧ وقوله تعالى: "فلينظر الانسان الى طعامه. الخ"، سورة ٨٠ آية ٢٤، وسما يدل على دليل الاختراع قوله تعالى: "فلينظر الانسان سم خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب"، سورة ٨٦ آية ٥ - ٧ وقوله تعالى: " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت. الخ"، سورة ٨٨ آية ١٧ -

ثم ان هذا الذى استدل به القرآن الكريم من دليل العناية والاختراع، وفسره فلاسفة الاسلام، قد تحدث عنه القدماء مثل سقراط، وكذلك تحدث عنه فلاسفة العصور الوسطى، وفلاسفة العصور الحديثة مثل كانت - "ونورد هنا مثالا توضيحيا عن سقراط - قال سقراط: "افى الناس من يعجبك براعته فى الصنائع؟ فقال: نعم، وسمى من الشعراء والمصورين ممن كان يعده ابرع من غيره - فقال سقراط أيهما أرفع عندك شأنًا؟ امن يصنع التماثيل العارية عن الحركة والعقل؟ ام من يصور الاشباح الحية المتحركة؟ فقال: من يصنع الصور الحية، اللهم الا اذا كانت تلك الصور من عمل المصادفة والاتفاق لا من عمل العقل -،

قال سقراط: اذا فرضنا اشياء بينة النفع والارادة، واشياء اخرى غير بينة القصد والمنفعة، فای من تلك الاشياء يكون فى نظرك من فعل العقل؟ قال: ان ما هو ظاهر القصد والمنفعة يكون من فعل العقل - فقال سقراط: الا ترى ان خالق الانسان زوده بادوات الحس لاحتياجه اليها فى السمع، والبصر، والشم،

والذوق، ثم اعتنت القدرة الالهية بذلك " فجعلت الاجفان كالبواب لتمنع ما يصيب البصر، وجعلت الاهداب كالمناخل لتقيها من اضرار الرياح، وما قولك في آلة السمع، وهي تقبل جميع الاصوات ولا تمتلي ابداعاً، فاذا فكرت في هذا لعلمت : ان هذا من فعل الاتناق، او من فعل العقل ؟ قال ارسطو ديموس : نعم اذا فكرنا في ذلك لاشك في انها من فعل صانع حكيم -، (١)

بان مما سبق ان الكندي لم يقل في اثبات وجود الله الا ما قال به الاولون وما جاء به القرآن الكريم قبله، وانه - مثل سقراط - يجعل العالم من فعل الله الحكيم الخبير، بل انه يعتبر الله وحده فاعلا حقيقيا فعله الابداع وهو اخراج الشئ من العدم الى الوجود، وهو في نظره الفاعل الذي يؤثر ولا يتأثر باى نوع من انواع التاثر، ويفعل ولا ينفعل، أما ما سواه فهو فاعل و منفعل فى وقت واحد، وبذلك لا يعتبره فاعلا حقيقيا، كما ان فعله ليس فعلا حقيقيا لان الفعل الحقيقى هو الابداع، وهو ما يخص الله جل ثناؤه، وقد مر تفصيل ذلك -

ويفرق الكندي بين الفعل والعمل، بان الاول ينتهى بانتهاى انفعال الفاعل، ولكن الثانى يبقى بعد انتهاء انفعاله ايضا كالنقش والبناء (٢)، الا انه يعرف كلا منهما فى رسالة الحدود فيقول : "الفعل تاثير فى موضع قابل للتاثير، ويقال : هو الحركة، من نفس المتحرك، والعمل فعل بفكر -، (٣) فالعمل حسب هذا التعريف خاص من الفعل الذى هو عبارة عن مطلق التاثير سواء كان بفكر او بغير فكر، ولكن العمل هو الفعل بفكر، فهنا لم يفرق الكندي بينهما بالبقاء وعدم البقاء، بل فرق

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام للدكتور عبدالحليم محمود ص ٢٩٣

(٢) رسائل الكندي ج ١ ص ١٨٢

(٣) نفس المصدر ص ١٦٦

بينهما بوجود الفكر فى العمل لا فى الفعل، فهما عنده ضدان حسب قوله الاول،
وبينهما نسبة العموم والخصموص حسب هذا القول فى تعريفهما -

أدلته الفلسفيه

١ - بعد ان اثبت الكندى حدوث العالم، بنى عليه دليل اثبات واجب الوجود
مستندا الى مبدا استحالة الدور والتسلسل، واستحالة عليية الشئ لنفسه، والى
ان الحادث والمحدث بينهما علاقة التضاييف، لا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر،
ولذلك يقول: "فالجرم اذا محدث اضطرارا، والمحدث محدث المحدث، اذ المحدث
والمحدث من المضاف، فلكل محدث اضطرارا عن ايسر"، (١) و من هنا قد تبين
لنا ان الكندى اختار طريق المتكلمين فى اثبات واجب الوجود حيث جعل اساس
دليله الحدوث لا الاسكان -

٢ - وعند الكندى الى جانب هذا الدليل دليل آخر على اثبات واجب
الوجود وهو: ان كل ما فى العالم من المحسوسات مركب توجد فيه الكثرة معا،
والوحدة الحقيقية التى لا توجد معها اى نوع من انواع الكثرة لا توجد الا فى البارى
جل ثناؤه، لانه وحده واحد حق، اما ما سواه فتعتريه الوحدة، فلا بد لها من ان
تكون مستفاداة فيه مما هى له بالذات ليكون علة لهذه الوحدة العرضية فى الممكنات،
لان عرضيتها فيه تدل فى نظر الكندى على انها مستفاداة فيه، مما له تلك الوحدة
بالذات وهو الله الواحد الحق -

ثم ان الوحدة فى نظر الكندى هى التشخص والوجود فى الممكنات،
واستفادتها من البارى هى الخلق والابداع، وبما انها لا توجد فيها بالذات، فبذلك

لم تكن موجودة فيها ثم افاضها الباري عليها بفضله، وبذلك وجدت الحوادث بعد ان لم تكن، فوحدتها اثر المؤثر وهو الباري - وبما ان هذه الوحدة هي وجود الحوادث، فبمفارقة منها تدثر الحوادث وتعدم وترجع الى عدسها السابق - (١)

وما يلاحظ هنا هو ان هذا الدليل لا يختلف عن الدليل الاول في جوهره، لان كلاهما مبنيان على حدوث المحسوسات وما يتبعها - ثم اننا سنوضح فيما بعد دليل الكندي على ان الوحدة البحتة لا توجد في الحوادث، بل انها توجد فيها مع الكثرة، وبذلك لا توجد الوحدة الحقيقية الا في ذات واجب الوجود، كما ان وحدته ذاتية غير مستفادة من الغير -

وهناك من يصف هذا الدليل بالسفسطة ويزعم انه مستوحى من الاسلام - (٢)

ولكن زعمه هذا مبنى على عدم فهمه غرض الكندي من هذا الدليل - كما يبدو -

لقد بينا سابقا ان الوحدة في نظر الكندي مرادف الوجود، وان استفادتها من الغير معناه الخلق والابداع، ولكل مبدع سبدع، ولكل حادث محدث، وهذا بين لدى كل من له المام باساليب البراهين العقلية، ولذلك لا ادري ماذا يقصد الناقد بالسفسطة كما يقول، وما هو دليبه على ان هذا البرهان مستوحى من الاسلام؟

٣ - ويثبت الكندي بالبرهان على انه من المستحيل ان يكون الشيء علة نفسه، وهذا هو اساس البراهين على واجب الوجود - و دليل الكندي على ذلك يتلخص في حصر الاحتمالات العقلية ثم ابطالها جميعا، وبذلك يثبت بطلان عليه الشيء لنفسه

(١) رسائل الكندي ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢

(٢) الكندي فيلسوف العرب لجورج عطية ص ٥٨

وهذه الاحتمالات اربعة، وذلك لان الشئ الذى فرض علة وجود ذاته اما ان يكون هو ذاته كلاهما معدومان، واما ان يكون كلاهما موجودان، واما ان يكون ذلك الشئ موجودا و ذاته معدومة، واما ان يكون عكس ذلك -

ومن البين بطلان الاحتمال الاول، لان المعدوم لا يكون علة ولا معلولا، والعلة والمعلول كلاهما من الموجودات، وكذلك من المسلم به ان العلة تكون غير المعلول، ولكن عليية الشئ لنفسه تقتضى ان يكون الشئ غير ذاته وهو عينه ايضا لان الشئ ذاته لا يتغايران، وفي ذلك جمع النقيضين -

وكذلك من البين بطلان الاحتمال الثانى، لان عليية الشئ تقتضى ان يكون غير معلوله، وهو فى هذا الاحتمال عينه و ذاته، فهو عينه وغيره فى وقت واحد، وفى ذلك جمع النقيضين -

وكذلك اتضح لنا بطلان الاحتمال الثالث، لان الشئ اذا كان موجودا وذاته معدومة، فانها لا تصلح لان تكون معلولة، لان المعلول من الموجودات، فتكون معدومة وسوجودة، وهذا هو التناقض -

كما ان العلية تقتضى مغايرة الشئ من المعلول، وهو هنا ذاته، وفيه التناقض -

اما بطلان الاحتمال الرابع فيبدو لنا من التناقض المماثل فى الاحتمال الثالث - (١)

وبهذا قد اثبتنا بطلان عليية الشئ الممكن او الحادث لنفسه، فاذن لا بد

لكل ممكن ولكل حادث من علة، فاما ان يتسلسل او يدور وهما من المستحيلات، او يسلم بعلة قديمة واجبة لهذه الحوادث او الممكنات، وهذا هو المطلوب، و سنوضح ذلك فيما بعد باسلوب آخر-

٤ - اما الدليل الرابع عند الكندي فهو ما ذكرناه فيما سبق من ان آثار تدبير الله في العالم تدل على وجود صانعه، مثلما تدل آثار النفس في البدن على وجودها، وقد مر بنا نص الكندي في هذا الصدد، الا اننا نعد هذا الدليل من البراهين الاقناعية -

٥ - اما الدليل الخامس فهو ما ذكرناه سابقا، والذي يسميه ابن رشد بدليل العناية، وهو الدليل الذي يستند الى فكرة الغائية والنظام الدقيق المحكم في العالم المرئى - وهذا لا يدل على وجود صانعه فحسب، بل يدل على انه عليم حكيم، كما اشرنا الى ذلك فيما سبق، وكما سنوضح ذلك فيما بعد -

اتضح لنا من عرض ادلة الكندي على وجود البارى انه اختار طريق المتكلمين في هذا الصدد، وهو الاستدلال من المحدث على المحدث، الا انه احتفظ لنفسه باصالة في الاسلوب والعرض وتنوع المقدمات، وهذا مما يدل على قوته الشخصية واصالته الفكرية -